والياً عليها. وفي زمن ولايته حقق انجازات عدّة كان من بينها دحر هجوم نابليون الذي نشرت الجريدة الرسمية الفرنسية، اثناء حصاره لعكا، بياناً دعا فيه اليهود «لمؤازرة فرنسا وانتهاز فرصة وجوده في فلسطين لتحقيق آمالهم هناك». والواقع ان نابليون كان أصدر بيانه الأول بهذا الشأن بمجرد وصوله الى مصر.

كان من المفيد التوسّع في عرض أهداف نابليون من اصدار البيانين وما تركاه لاحقاً من أصداء هامّة. فقد رمى من ذلك استقطاب الجاليات اليهودية في الشرق لتحارب الى جانبه وتكون عوناً له في تثبيت سلطانه من جهة، وكسب ثقة يهود فرنسا ودعمهم المالي لحملته من جهة ثانية، واقامة حاجز بشري ما بين مصر وسوريا من جهة ثالثة، بالاضافة الى تهديد مصالح بريطانيا من خلال اغلاق طريق مواصلاتها للهند. وممّا يسترعي الانتباه، في هذا الصدد، ان الجاليات اليهودية الشرقية والاوروبية، بشكل عام، لم تبد اهتماماً جدياً بدعوة نابليون المتضمّنة وعداً باقامة وطن لليهود في فلسطين. غير ان هاتين الدعوتين لفتتا، مبكراً، أنظار بريطانيا، فسعت، بنجاح، لتحقيق بعض أهداف نابليون.

تركت بصمات الجزار آثارها في حكمه المديد لعكا قرابة ثلاثة عقود بما حققه من انجازات كان من بينها تحصين أسوارها، وجرّ مياه الكابري اليها، وبناء المسجد الذي لا يزال يحمل اسمه، وبناء خان العمدان، وانشاء خمسة عشر سبيلاً لسدّ حاجات الاهالي من المياه.

وقبيل منتصف القرن الماضي، خضعت عكا وبقية البلاد السورية للحكم المصري القصير الذي أنهاه التدخل الاوروبي فعادت بذلك سلطة الاتراك. ومن المفيد، في هذا المجال، ابراز ادراك بريطانيا لخطورة خطوة محمد علي التوحيدية على المصالح البريطانية، الامر الذي حمل الدوائر البريطانية الرسمية على الاهتمام بالاستيطان اليهودي في فلسطين لفصل المشرق العربي عن مغربه.

عقب الحرب العالمية الاولى، خضعت فلسطين للانتداب البريطاني وأصبحت عكا قائمقامية تابعة للواء الجليل. وفي نهاية هذا الفصل، عرض مقتضب للشخصيات التي شغلت منصب القائمقامية، والبلدية، والقضائين المدني والشرعي. وفي آخر المطاف، ابراز مشاركة ممثلي عكا في المؤتمرات الوطنية قبل الانتداب وبعده، دون ذكر أسماء هؤلاء الممثلين، ودون ذكر لممثلي عكا في الاحزاب الفلسطينية.

ومن تاريخ المدينة انتقل المؤلفان، في الفصل الثاني، الى جغرافيتها ومعالمها، فمن وصف لموقعها الى وصف لمناخها تمّ الانتقال لذكر معالمها، فمن سورها التاريخي وقلعة السور الى تعداد جوامعها الثمانية، وكنائسها الخمس، وأديرتها، وحاراتها، وحمّاماتها العمومية، وبرج الساعة، وحديقة البلدية، والسراي القديمة، وأسوارها الثلاثة، وقناطر مياه الكابري، ومقامات الأولياء فيها، والمدينة الصليبية المكتشفة في أواسط عقد الستينات، والخانات الاربعة وسبيل الطاسات.

وحسناً فعل المؤلفان في لمحة في الفصل السابق، بالحديث عن المذهب الشاذلي الصوفي في عكا، وعن المذهب البهائي في هذا الفصل لعلاقة المذهبين بهذه المدينة. وحسناً فعلا، أيضاً، في آخر الفصل باعطاء صورة واضحة عن «التغيّرات الرئيسة» التي طرأت عليها بعد الاحتلال الاسرائيلي لها. ومن خلال هذا العرض، تبدو عكا، بماضيها الحضاري المشرق وبمعالمها التاريخية البارزة وبموقعها الجغرافي المميز، واضحة كل الوضوح، كما تبدو جلية التغيّرات المستجدة فيها بعد النكبة.

في الفصل الثالث، بحث شامل في قضاء عكا تضمّن موقعه ومناطقه الاربع (الساحل والسهل، وأوديته وأنهاره وجباله وقراه الاثنتان والخمسون)، كما تضمّن معلومات وافية عن كل منطقة لا سيما الاخيرة منها حيث يرد بالتفصيل موقع القرية وتاريخها، وعدد سكانها وآثارها ومدارسها وأنواع الزراعة فيها وأسماء بعض عائلاتها. وتضمّن هذا الفصل «الخرب والمواقع التاريخية في قضاء عكا» التي كانت في الماضي القريب أو البعيد مدناً وقرى عامرة ومأهولة وقلاعاً حصينة. ولقد أشير الى مواقعها والى مظاهرها التاريخية. وأُتبع ذلك بذكر المستوطنات اليهودية التسع التي أقيمت، أيام الانتداب، في هذا القضاء، وبذكر المستوطنات اليهودية